المحاضرة الحادية عشر

الحداثة والمعاصرة

المدة: ساعة و نصف

الفئة المستهدفة: طلبة السنة الثانية (لسانس)

1-مقدمة:

يعبر مفهوم الحداثة في ظاهره عن معنى التحديث والتجديد لما هو قديم، وهو مفهوم شامل وواسع يكتسي دلالته حسب الميدان والسياق الذي وظف فيهما. وظهر نتيجة التحولات الطارئة على النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي حدثت في العالم الغربي، وأدت إلى تغيير طرائق التفكير وزوايا النظر.

ويلتبس مفهوم الحداثة بمفاهيم أخرى من قبيل: المعاصرة، الأصالة، التجديد وغيرها. وستحاول هذه المحاضرة رفع هذا اللبس من خلال إبراز الفوارق المختلفة بين هذه التسميات.

2-مفهوم الحداثة في الأدب والنقد:

الحداثة في الدراسات الأدبية والنقدية هي اتجاه فكري مس أغلب المذاهب والمدارس الأدبية والنقدية، بهدف إحداث تغييرات في المفاهيم القديمة السائدة، وارتبطت الحداثة بمفهوم آخر هو الأصالة، الذي نلخص دلالته من معجم اللغة العربية المعاصرة بكونه المقدرة على التفكير والتعبير عن الذات بطريقة مستقلة.

وتضع خالدة سعيد في مؤلفها "الملامح الفكرية للحداثة" فوارق بين الحداثة والتجديد، تتمثل في شمولية الأولى وخصوصية الثاني "الجديد نجده في عصور مختلفة، لكنه لا يشير إلى الحداثة دائما" [1]

وهناك من يفرق بين الحداثة الزمنية والحداثة المعرفية، فالجاحظ مثلا يمثل أفضل الحداثيين في عصره بفضل أسئلته المعرفية العميقة، التي قد يعجز عن طرحها مفكري العصر الراهن. والأمر نفسه مع أشعار امرئ القيس وأبي نواس، فكلها تدور في فلك الحداثة، لأنها أصيلة في هوية دينامية تضمن لها الاستمرارية والامتداد إلى اللحظة الراهنة.[2]

3-مفهوم المعاصرة:

المعاصرة في مفهومها السطحي هي تناول موضوعات العصر وقضاياه، أما في المستوى العميق تعني القطيعة مع كل ما هو قديم (التراث)، وبالتالي يصبح معنى الحداثة مقارنة بالمفهوم الذي تتمثله المعاصرة أعمق، لكونه يرتبط بالمستوى المعرفي لا البعد الزمني، فالحداثة الحقة هي تطوير في الوعي اتجاه متغيرات الحياة، وبناء عليه تصبح حداثة النص هي عبارة عن موقف يعبر به المبدع عن تجربته بروح عصرية.

4-الموقف النقدي العربي من الحداثة الغربية:

ونشير بداية إلى أن ثمة عدة رؤى وقراءات متباينة ومختلفة من الحداثة الغربية، وصلت في بعض الأحيان إلى حد التناقض الصارخ على العديد من المستويات، نظرا لتعدد زوايا النظر واختلاف المقاصد والغايات بين الباحثين والدارسين لهذا المفهوم، وقد أفضت عملية البحث والتنقيب إلى رصد ثلاثة أنواع أساسية من القراءات:

---

[1] خالدة سعيد: الملامح الفكرية للحداثة: ص 25.

[2]- ينظر: محمد علاء الدين: مقدمة في نقد الحداثة بين البدعو والاختلاف، الحوار المتمدن، العدد 1434، 2006

أولها القراءة الحداثية أو التمجيدية: وتمثل هذه القراءة الرؤية الانبهارية بالأفكار الحداثية التي تدعو إلى التجديد على كافة المستويات، وبالمقابل تنادي بخطاب القطيعة مع كل ما هو تراثي، معتبرة النموذج الغربي هو "الأنموذج الأعلى" للإنتاج والإبداع، كما تبالغ هذه القراءة في الاحتماء بمنجزات الآخر، رافعة إياه إلى مرتبة النزاهة والعصمة، فكان أصحابه "يرددون ليل نهار، أنه لابد لنا إن أردنا الوثوب من رقدتنا والخروج عن خيبتنا، من القطيعة المعرفية مع التراث، ودفن الماضي بكل ما فيه إلى الأبد، لنبدأ من واقعنا وحاضرنا"[3]، وبهذا التصور تم صرف النظر عن جواهر ثمينة، وذخائر قيمة زخر بها هذا التراث، كان الأولى استثمارها والانتفاع بها. إن الحداثة وفق هذه الرؤية تتحول إلى استعباد فكري قهري على العقل العربي.

وثاني هذه القراءات هي القراءة المعارضة: وهي التي ظل أصحابها ينظرون إلى الحداثة عموما نظرة عداء وكراهية، بحجة أنها تمثل منجزات الآخر المختلف فكريا وحضاريا وعقائديا عن الذات العربية، فلم يدخروا جهدا في نقدها وإثبات ثغراتها المعرفية وتضخيم خطرها على الفكر العربي في مختلف مجالاته.

أما **القراءة الثالثة التي نثمنها –من وجة نظرنا–هي القراءة النقدية التفاعلية:**

وهي تمثل موقفا وسطا بين القراءتين، حيث ترى أن الحاجة الملحة تتمثل في قراءة الذات العربية أولا (التراث) قراءة واعية متأنية، ثم البحث عن مواطن الضعف والخلل والعمل على سدها، ولن يتأتى ذلك إلا بالتفاعل الإيجابي مع ما قدمته المعرفة الإنسانية.

فالعودة إلى تجارب الآخرين، "أمر لا شك في جدواه، إذا كانت هذه العودة لغرض الإضافة والتجاوز، لا لغرض الاجترار والتكرير"[4]. ولن تتم هذه الإضافة والتجاوز إلا إذا

---

[3] – منير جمعة: تراث معاني القرآن في العربية، الجزء الثاني، دراسة صوتية، بلنسية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2006، ص 7.

[4]– عبد العزيز عتيق: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة العربية، بيروت، د ت، ص 08.

تنوعت وتعددت أشكال التفاعل، بين المحاورة والمحاكاة حينا، والمعارضة والنقد أحيانا أخرى، وتقديم البدائل المعرفية في مرحلة متطورة من الوعي والإنتاج الفكري.

خاتمة:

وجماع القول أنه من أجل بلوغ وتحقيق قراءة صحيحة واعية للمفاهيم الحداثية، لابد من تكثيف وتعميق الالتفات إلى التراث العربي عن طريق الانفتاح على مختلف المنهجيات المعاصرة التي أفرزتها المعرفة الإنسانية –لاسيما في مجال النقد والأدب– دون إلغاء أو تجاوز الخصوصيات المعرفية والثقافية للحضارة العربية، وذلك ضمانا للتطور والاستمرارية، وانتقالا من وضعية التكرار والاجترار إلى الإبداع والابتكار، ومن السكون والجمود إلى الاجتهاد والتحليل.

نشاط إجمالي:

_السند:

"إن ما ينقص الفكر العربي في قراءته لمشروع الحداثة الغربية هو الوعي التاريخي. فماذا أقصد بالوعي التاريخي؟ وما وجه ضرورته؟ وما ثمار تشغيله في قراءة الحداثة الغربية؟ نقصد بالوعي التاريخ ذاك الأسلوب في التفكير الذي يعامل الفكرة بوصفها نتاج لحظتها التاريخية، ومشروطة بأفق تلك اللحظة وأحلامها وإخفاقاتها. ولا نقصد بالمشروطية هنا ذاك المعنى الآلي الذي يجعل علاقة الفكر بالواقع علاقة متبوع بتابع، أو علاقة معلول بعلة. فتلك النظرة الفلسفية التي ترجع الفكرة إلى المادة نظرة مختلة في طبيعة فهمها للفكر وللمادة على حد سواء.

فالفكر لا يتأثر بالواقع فقط، بل يؤثر فيه أيضا، ويغيره ويتجاوزه بطاقة التخييل والاستبصار. لكن مهما كانت هذه القدرة التجاوزية يظل الفكر في نشأته وتبلوره وصيرورة تطوره متعالقًا مع شرطه التاريخي، ومستجيبًا لهواجسه وأسئلته، الأمر الذي يبرر بل يفرض

معاملته وتحليله ضمن سياقه المجتمعي وصيرورته التاريخية. وفيما يخص الحداثة باعتبارها مشروعا ثقافيا نحتاج إلى هذا الوعي التاريخي أشد الاحتياج، إذ به نتحرر من النظرة الماهوية الأفلاطونية للحداثة بوصفها مقولات مثالية مفصولة عن سياقها التاريخي، وقابلة من ثم للتكرار في كل سياق مجتمعي مهما اختلفت الظروف والشروط."

المهمة:

انطلاقا من السند، وبناء على معارفك التي اكتسبتها من المحاضرة، حلل وناقش القول.